مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Hail

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

السنة السابعة، العدد 24
المجلد الثالث، ديسمبر 2024

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

Arcif
Analytics

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة حائل

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788 X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حال كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل "ارسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين -من مختلف بلدان العالم- من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة البحث

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دولياً، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصدر المجلة ورقياً حسب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونياً لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط وإجراءات النشر في مجلة العلوم الإنسانية

اولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراه) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانياً: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. في حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاً لبحثه.
3. في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل- وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: الضوابط والمعايير الفنية لكتابة وتنظيم البحث

1. ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحوث (25%).
2. الصفحة الأولى من البحث، تحتوي على عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، المؤسسة التي ينتسب إليها- جهة العمل، عنوان المراسلة والبريد الإلكتروني، وتكون باللغتين العربية والإنجليزية على صفحة مستقلة في بداية البحث. الإعلان عن أي دعم مالي للبحث- إن وجد. كما يقوم بكتابة رقم الهوية المفتوحة للباحث ORCID بعد الاسم مباشرة. علماً بأن مجلة العلوم الإنسانية تنصح جميع الباحثين باستخراج رقم هوية خاص بهم، كما تتطلب وجود هذا الرقم في حال إجازة البحث للنشر.
3. ألا يرد اسم الباحث (الباحثين) في أي موضع من البحث إلا في صفحة العنوان فقط.

4. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة أو (12.000) كلمة للبحث كاملا أيهما أقل بما في ذلك الملخصان العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع.

5. أن يتضمن البحث مستخلصين: أحدهما باللغة العربية لا يتجاوز عدد كلماته (200) كلمة، والآخر بالإنجليزية لا يتجاوز عدد كلماته (250) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

6. يُتبع كل مستخلص (عربي/إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) (Key Words) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.

7. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة: من الجهات الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.

8. يكون نوع الخط في المتن باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (12)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبحجم (10)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ. (Bold).

9. يكون نوع الخط في الجدول باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (10)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبحجم (9)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ (Bold) ..

10. يلتزم الباحث برومنة المراجع العربية (الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية) ويقصد بها ترجمة المراجع العربية (الأبحاث والرسائل العلمية فقط) إلى اللغة الإنجليزية، وتضمينها في قائمة المراجع الإنجليزية (مع الإبقاء عليها باللغة العربية في قائمة المراجع العربية)، حيث يتم رومنة (Romanization / Transliteration) اسم، أو أسماء المؤلفين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين (يقصد بالرومنة النقل الصوتي للحروف غير اللاتينية إلى حروف لاتينية، تمكِّن قراء اللغة الإنجليزية من قراءتها، أي: تحويل منطوق الحروف العربية إلى حروف تنطق بالإنجليزية)، ثم يتبع بالعنوان، ثم تضاف كلمة (in Arabic) بين قوسين بعد عنوان الرسالة أو البحث. بعد ذلك يتبع باسم الدورية التي نشرت بها المقالة باللغة الإنجليزية إذا كان مكتوباً بها، وإذا لم يكن مكتوباً بها فيتم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

مثال إيضاحي:

الشمري، علي بن عيسى. (2020). فاعلية برنامج إلكتروني قائم على نموذج كيلر(ARCS) في تنمية الدافعية نحو مادة لغتي لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل،1(6)، 98-87.

Al-Shammari, Ali bin Issa. (2020). The effectiveness of an electronic program based on the Keeler Model (ARCS) in developing the motivation towards my language subject among sixth graders. (in Arabic). Journal of Human Sciences, University of Hail.1(6), 98-87

السميري، ياسر. (2021). مستوى إدراك معلمي المرحلة الابتدائية للإستراتيجيات التعليمية الحديثة التي تلبي احتياجات التلاميذ الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم. المجلة السعودية للتربية الخاصة، 18(1): 19- 48.

Al-Samiri, Y. (2021). The level of awareness of primary school teachers of modern educational strategies that meet the needs of gifted students with learning disabilities. (in Arabic). The Saudi Journal of Special Education, 18 (1): 19-48.

11. يلي قائمة المراجع العربية، قائمة بالمراجع الإنجليزية، متضمنة المراجع العربية التي تم رومنتها، وفق ترتيبها الهجائي (باللغة الإنجليزية) حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

12. تستخدم الأرقام العربية أينما ذكرت بصورتها الرقمية. (Arabic.... 1,2,3) سواء في متن البحث، أو الجداول و الأشكال، أو المراجع، وترقم الجداول و الأشكال في المتن ترقيماً متسلسلاً مستقلاً لكل منهما ، ويكون لكل منها عنوانه أعلاه ، ومصدره – إن وجد – أسفله.

13. يكون الترقيم لصفحات البحث في المنتصف أسفل الصفحة، ابتداءً من صفحة ملخص البحث (العربي، الإنجليزي)، وحتى آخر صفحة من صفحات مراجع البحث.

14. تدرج الجداول والأشكال- إن وجدت- في مواقعها في سياق النص، وترقم بحسب تسلسلها، وتكون غير ملونة أو مظللة، وتكتب عناوينها كاملة. ويجب أن تكون الجداول والأشكال والأرقام وعناوينها متوافقة مع نظام APA.

رابعًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

خامسًا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشره (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهه أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراه.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية كما هو في دليل الكتابة العلمية المختصر بنظام APA7.

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).

3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.

4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (WORD) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.

5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.

6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك

7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.

8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة **(1000)** ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمسة أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغيًا.

9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع، ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكِّمين اثنين؛ على الأقل.

10. فـي حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.

12. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث

13. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم.

14. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.

15. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.

16. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر

17. ترسل المجلة للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.

18. لهيئة تحرير المجلة الحق فـي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّيّاً.

مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد السيف

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش
أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. سالم بن عيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ.د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د.نوف بنت عبدالله السويداء
أستاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ. د. فهد بن سليمان الشايع
جامعة الملك سعود - مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ. د. محمد بن مترك القحطاني
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - علم النفس

أ. د. علي مهدي كاظم
جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان - قياس وتقويم

أ. د. ناصر بن سعد العجمي
جامعة الملك سعود - التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د. حمود بن فهد القشعان
جامعة الكويت - الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د. رقية طه جابر العلواني
جامعة البحرين - الدراسات الإسلامية

أ.د. سعيد يقطين
جامعة محمد الخامس - سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د. سعد بن عبد الرحمن البازعي
جامعة الملك سعود - الأدب الإنجليزي

أ.د. محمد شحات الخطيب
جامعة طيبة - فلسفة التربية

مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

الأنساق الثقافية في شعر حاتم الطائي

Cultural Patterns in the Poetry of Hatim al-Tai

د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه [1]

https://orcid.org/0009-0004-0112-4491

[1] أستاذ الأدب والبلاغة المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل بالأحساء، المملكة العربية السعودية.

Dr. Osman Mohammed Osman Al-HajKona [1]

[1] Associate Professor of Literature and Rhetoric, Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Al-Ahsa, Kingdom of Saudi Arabia.

(قُدم للنشر في 17/ 10/ 2024، وقُبل للنشر في 30/ 12/ 2024)

المستخلص:

يسعى هذا البحث إلى تقصّي ظاهرة الأنساق الثقافية المهيمنة في شعر حاتم الطائي. من خلال تسليط الضوء على نصوصه الشعرية وتشخيص أهم العوامل التي ساهمت في تشكيلها مستفيدًا من آليات منهج النقد الثقافي. لمقاربة المدونة الشعرية نسقيًا وتحديد السياقات الاجتماعية والثقافية القائمة التي أثرت فيه. وهو ما أفرز ثلاثة أنساقًا مضمرةً رئيسة: نسق المباهاة ويرتكز على قيم الكرم والشجاعة والفخر بالنسب؛ ونسق الرفض ويقوم على مناهضة التفاوت بين فئات المجتمع والتمسك بقيمتي الكرامة والعدالة، ونسق إرادة الخلود ويقوم على ترسيخ قيمة الفتوة وضمان دوامها في الذاكرة الجماعية. وقد توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها نضج تجربة الطائي الشعرية ودورها في التعبير عن عدة أنساق ثقافية مخفية؛ هي المباهاة المترشحة عن الفخر، والرفض بديلًا للهجاء أو الصعلكة، والخلود مقابل الفناء والنسيان. إذ ارتكز النسق الأول على قيم الكرم والشجاعة والفخر بالنسب، وبني النسق الثاني على رفض البخل والظلم والتمسك بقيم الكرامة والعدالة، أما النسق الثالث فيظهر من خلال السعي لترسيخ صفتي الكرم والشهامة ومكارم الأخلاق في النفوس وتخليدها ومن أهم ما أوصى به البحث اعادة قراءة خطاب الكرم في السياق الثقافي: بوصفه شكلًا من أشكال «الاقتصاد الرمزي»، حيث يعزز مكانة الفرد والقبيلة عبر الأفعال النبيلة بدلًا من الثروة المادية. وتحليل البعد النفسي لشخصية حاتم الطائي لفهم دوافعه وراء الكرم المفرط والتضحية الذاتية، خاصة في ظل الضغوط الاجتماعية للقبيلة.

الكلمات المفتاحية: الأنساق، شعر، حاتم الطائي، القيم.

Abstract

This study aims to investigate the phenomenon of dominant cultural systems in the poetry of Ḥātim al-Ṭāʾī by analyzing his poetic texts and identifying the key factors that contributed to their formation, utilizing the mechanisms of cultural criticism. The research approaches the poetic corpus from a systemic perspective, examining the social and cultural contexts that influenced it. This exploration revealed three primary implicit systems:The systems of Boasting, which is centered around values of generosity, courage, and pride in lineage. The systems of Rejection, which opposes social inequality and emphasizes dignity and justice. The systems of the Will to Immortality, which aims to perpetuate the value of chivalry and ensure its preservation in collective memory. The study concludes that Ḥātim al-Ṭāʾī's poetic experience demonstrates maturity and plays a significant role in expressing various hidden cultural systems: boasting, derived from pride; rejection, as an alternative to satire or social dissent; and immortality, as opposed to oblivion and mortality. The first pattern is grounded in geerosity, courage, and pride in ancestry, while te second is built upon opposition to greed and injustice, advocating for dignity and justice. The third pattern emerges through efforts to instill generosity, nobility, and virtuous morals in society and ensure their perpetuation. Among the key recommendations of this research is the reconsideration of generosity discourse within its cultural context as a form of "symbolic economy," wherein noble deeds enhance the status of both the individual and the tribe, rather than material wealth. Additionally, it emphasizes the importance of analyzing the psychological dimension of Ḥātim al-Ṭāʾī's character to understand his motivations for excessive generosity and self-sacrifice, especially under the social pressures of tribal life.

Keywords: Cultural Patterns, Poetry, Ḥātim al-Ṭāʾī, Values.

للاستشهاد: كنه، عثمان محمد عثمان. (2024). الأنساق الثقافية في شعر حاتم الطائي. مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل، 02 (24)

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث.

Funding: "There is no funding for this research".

المقدمة:

يمثل شعر حاتم الطائي علامة بارزة في الأدب الجاهلي، حيث يُجسد رؤية ثقافية غنية بقيم أخلاقية واجتماعية متجذرة في بيئة قاسية وبيئة تمجد الفضائل القبلية. يُعنى هذا البحث بتحليل الأنساق الثقافية في شعره، مسلطًا الضوء على الأبعاد الأخلاقية والقيمية التي تبرز في قصائده، التي لم تقتصر فقط على الفخر والكرم بل تجاوزتها إلى أسئلة الرفض والخلود. حيث يهدف البحث إلى تقديم فهم أعمق لهذه الأنساق من خلال استعراض نماذج شعرية دقيقة، لتسليط الضوء على فلسفة الشاعر وكيف تجلت قيم مثل الكرم والشجاعة والصمود في مواجهة الظروف القاسية. إن إعادة قراءة أشعار حاتم الطائي تكشف عن طبقات معقدة من الدلالات الثقافية، التي لا تزال تعبر عن قضايا جوهرية تتعلق بمعنى الشرف، ومكانة الفرد في المجتمع، ورغبته في البقاء حيًّا في الذاكرة الجمعية.

هناك عدد من الروايات والطبعات لديوان حاتم الطائي. حيث اعتمدت الدراسة على ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره (2011). صنعه يحيى بن مدرك الطائي؛ رواية هشام بن محمد الكلبي؛ دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال. الطبعة الأولى. دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي). أبو ظبي؛ الإمارات العربية المتحدة، كمدونة البحث بوصفها من أحدث الطبعات المحققة.

إن إشكالية البحث تتمحور حول فهم الكيفية التي تعبر بها الأنساق الثقافية في شعر حاتم الطائي عن القيم والمبادئ الاجتماعية السائدة في العصر الجاهلي، ومدى تأثير هذه القيم في تشكيل هوية الشاعر وتصوراته الأخلاقية. تسعى الدراسة إلى استكشاف:

1-كيف جسد حاتم الطائي في شعره قيم الكرم والشجاعة والتضحية، ومدى ارتباط هذه القيم برغبة الشاعر في الخلود وترك أثر دائم في الذاكرة الجمعية.

2-التحديات التي واجهها الشاعر في التعامل مع القيم المتناقضة، مثل التباهي والحياء، والرفض للفروقات الطبقية رغم تأثير الأعراف القبلية.

3-كيفية توظيف هذه الأنساق كوسائل لتعزيز مكانة الشاعر الاجتماعية وترسيخ فلسفته تجاه الحياة والموت.

أما خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة وتمهيد تناولنا فيه نبذة عن حاتم الطائي والأنساق الثقافية، ثم المبحث الأول نسق المباهاة في شعر حاتم الطائي ويشتمل على محور المباهاة بالكرم، ومحور المباهاة بالشجاعة والقوة، ومحور التفاخر بالنسب والمجد العائلي، ثم المبحث الثاني الذي يقوم على نسق الرفض والتفاوت الطبقي وتحته محور رفض الفوارق الطبقية، ومحور رفض الأعراف القبلية. أما المبحث الثالث نسق إرادة الخلود ويقوم على ترسيخ قيمة الفتوة وضمان دوامها في الذاكرة الجماعية، والكرم كوسيلة للخلود ويتكون من محورين، المحور الأول الذكر الطيب بعد الموت والثاني محور الأفعال البطولية والشجاعة كأداة للخلود. ثم خاتمة البحث التي اشتملت النتائج والمراجع التي قامت عليها الدراسة. وقد اعتمدت الدراسة إلى تقصّي ظاهرة الأنساق الثقافية المهيمنة في شعر حاتم الطائي، من خلال منهج النقد الثقافي وآلياته في التحليل والوصف.

هناك عدد من الدراسات السابقة ولم أجد دراسة تقاطعت كليا مع دراستي، ومن بين هذه الدراسات دراسة بعنوان: ألفاظ الكرم في ديوان حاتم الطائي: دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية– صليحة بعطوش – جامعة زيان عاشور الجلفة– الجزائر– هذه الدراسة تبحث في الألفاظ المرتبطة بالكرم في شعر حاتم، محللةً الدلالات اللغوية المرتبطة بمفهوم الكرم، وهي مرتكز بارز في شخصيته الشعرية. ودراسة ثانية بعنوان الصورة الفنية في شعر حاتم الطائي: مادة تشكيلها وتداخل الحواس فيها– حسن كاتب – مجلة العلوم الإنسانية– الجزائر– تركز الدراسة على الأساليب الفنية المستخدمة في شعره، مثل الصور الشعرية وتداخل الحواس في بناء المعاني، مما يعكس عوالمه الإبداعية والتصورات الفنية التي تميزت بها قصائده. ودراسة ثالثة بعنوان الانتماء في شعر حاتم الطائي وتطوره: قراءة أدبية نقدية" من إعداد يونس إبراهيم موسى أبو مصطفى، منشورة في مجلة ابن منظور لعلوم اللغة العربية، جامعة بنغازي –كلية التربية بالمرج. تهدف الدراسة إلى استكشاف مظاهر الانتماء المتعددة في شعر حاتم، مثل الانتماء النسبي، الاجتماعي، والديني، مع التأكيد على الروابط القوية بين الشاعر وقبيلته، ودراسة رابعة بعنوان حاتم الطائي والنمر بن تولب العُكْلِيَّ– دراسة أدبية نقدية موازنة–رسالة ماجستير– معزة ساري إلياس الزبير–

التماثل والتقابل في شعر حاتم الطائي– دراسة وصفية إحصائية– نوف بنت سالم الشمري – تتقصى الدراسة ظاهرتين من ظواهر البديع في ديوان الشاعر حاتم الطائي، هما (ظاهرة التماثل وظاهرة التقابل) من خلال وصفهما وتحليل بعض مفرداتهما تحليلًا جزئيا سياقيًا لإبراز علاقتهما في إنتاج المعنى والدلالة.

تمهيد:

حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحَشْرَج بن امرئ القيس بن عَدِيّ بن أَخْزَم بن أبي أَخْزَم –واسمه هَرُومة– بن رَبيعة بن جَرْوَل بن ثَعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طيئ، يكنى أبا سَفَّانَة وأبا عَدِيّ، وأكثر ما يُقال أبو سفَّانة (الديوان، 2011، ص.13). وُلد حاتم في أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادي، ويقال أنه كان معاصرًا لعَبِيد بن الأَبْرص، ويبدو أن أباه عبد الله توفي وهو صغير جدًّا، (شيخو، 1991، ص.100)، فقام جده بأمره وظل في حجر جده حتى شب وذهب في الجود مذهبه المعروف، بل هو يذكر جده سعدًا ويفخر بانتمائه إليه وبنوّته له،

بل يذكر أن جده هو «حَشْرَج»، كأن نسبه هو حاتم بن سعد بن الحشرج، قال: (الديوان، 2011، ص.13)

أنا المفيد حاتم بن سعد

أعطي الجزيل وأفِي بالعـهد

أورثني المجـد بنتة المجـد

أبي وجدي حشرج ذو وقد

ويعرف عن هذه المرحلة المبكرة من حياته أنها مرحلة ترهص بميلاد سيد شريف جواد (الديوان، 2011، ص.30)، عاش وقومه في بلاد الجبلين التي تسمى الآن منطقة حائل (شمال المملكة العربية السعودية)، حيث يوجد بها قبره وبقايا قصره بالإضافة إلى موقدته الشهيرة المتواجدة بمنطقة توران الواقعة بمحافظة حائل وهو سادات قبيلة طيء العربية، وقد عُرِف بصفات بالغة سمَّاها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مكارم الأخلاق « -حاتم محبّ لقومه، قائم بأمرهم، موكَّل بقضاء حاجاتهم، عَتِيد قِراه أنَّ أتوه، لا تنزل عن الأثافي قدوره (ابن قتيبه، 1982، ص.241)، وكما نافح عنهم بماله ودفع عاديات الزمان، وصروف السنين حين تغبر آفاق السماء، فقد ذاد عنهم بلسانه، ونصب نفسه للدفاع عن حقوقهم وقد بذل لهم من ماله ونفسه، وحامَى على مجدهم، فقد أكسبوه بانتمائه إليهم عزة ومنعة، جعلته شامخ الرأس، لا يدين لأحد (الديوان، 2011، ص.34).

تعدت مكانة حاتم حدود قومه، وشاع صيته خارج مضاربهم، وعرف سؤدده وشرفه، فصار منزله مألفًا للعُفاة والمجْتَدين (الديوان، 2011، ص.43)، ويعتبر حاتم الطائي رجل صاحب فطرة وسجية وفضائل محمودة، وقيل في حقه إذا سُئل أعطى وإذا نَزل بمنزلٍ عُرف، ولو ضَربَ بالقداح كسب، ولا يقتل بالأشهر الحُرم، نَحار للأبل فقيل إنه ينحر باليوم عشر إبل ليُطعم الناس وعابري السُبل، بالإضافة إلى كل هذه الصفات كان صاحب وفيّ، ومغيث للهفان ومُطلق للأسرى، موفٍ بالعهود والذمم، كما كان جارً حسن وصوان للعرض والحرمات، والكثير من الخِصال.

لم يتفق المؤرخون على تاريخ وفاة حاتم الطائي، فمنهم من قال أنّ وفاته كانت بعد مولد الرسول الأعظم ﷺ بثماني سنوات عام 578 ميلادية، والبعض الآخر قال إنه توفي سنة 605 ميلادي (شيخو، 1991، ص.134)، في منطقة عوارض، وهي عبارة عن جبل في بلاد طيء اليمانية، ودُفن في منطقة توران (50 كلم من حائل شمال السعودية). ويقال بأنه قارب الستين عام قبل وفاته.

ونسجت حول حاتم الطائي الكثير من الأساطير التي تحكي عنه، فقد حدثنا يحي بن عقاب عن علي بن حرب قوله: «رأيت قبر حاتم طيئ ببقة وهو أعلى جبل له واد يقال له الخابل، وإذا قدر عظيمة من بقايا قدور حجر مكفأة في ناحية من القبر من القدور التي كان يظلم فيها الناس، وعن يمين قبره أربع جواد من حجارة كلهن صاحبة شعر منثور متحجرات على قبره كالنائمات عليه، ولم ير مثل بياض أجسامهن، وجمال وجوهن مثلهن الجن على قبره" (المسعودي، 1966 ص.470).

وفي النص اعتقاد قديم يقوم على عدم زوال الكرم للضيف حتى وإن كان المقري ميتًا، فسوف تبقي سجاياه حية، ووفاته معلقة على نواحي قبره متناثرة عن يمينه وشماله، لتكون شاهدا حيا على نبله وفضله وكرمه، فالقدور اعتقاد بـ (قرى الضيف) النازل والجياد بما كان يقدمه على مائدته.

وجاء في الرواية أنّ رجلا-«يقال له أبو الخيبري مر في نفر من قومه بقبر حاتم، فنزل به، وبات يناديه: يا أباعديٍّ أقرِ أضيافك! فلما كان في السحر وثب أبو خيبري يصيح: واراحلتاه! فقال له أصحابه: ما شأنُك؟ فقال: خرج والله حاتمٌ بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر إليه، فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تنبعثُ، فقالوا: قد والله قراك، فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها، ثم أردَفوه وانطلقوا، فبينما هم في مسيرهم طلع عليهم عدي بن حاتم ومعه جمل أسود قد قرنه ببعير، فقال: إنّ حاتمًا جاءني في المنام فذكر لي شتمك إياه، وأنه قراك وأصحابك راحلتك، وقد قال في ذلك أبياتًا، ورددها علي حتى حفظتها:

أبا خَيْبَرِيٍّ، وأنت امرُؤٌ

حَسُودُ العَشِيرَةِ شتامها

فماذا أرَدْتَ إلى رِمَّـةٍ

بداويَّةٍ صَخْـبٍ هامُها

تُبَغِّي أذاها وإعسارَها

وحولك غَوث وأنْعَامُها

وقد أمر أبي أن أحملك على بعير فدونكه، فأخذه وركب وذهب (الديوان، 2011، ص.161)

الأنساق الثقافية: يتحدر كلمة «نسق» في المعاجم العربية من مادة (ن، س، ق)، وتعني، لغة، النظام.. وقد ترددت مفردة «نسق» في أغلب المعجمات العربية (بوزهرة، 2021، ص.284)، فيقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما، والنسق، بالتسكين مصدر نسقت الكلام إذا عطف تبعضه على بعض، ويقال: نسقت بين الشيئين وناسقت والتنسيق: التنظيم «(ابن منظور، 1990، ص.352)،- أما في معجم «القاموس المحيط» للفيروزآبادي فقد ورد أنّ »نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد ومن الثُّغور المستوية، ومن الخرز : المنظَّم (...) والتنسيق مراده التنظيم»

(الفيروزأبادي، 1999، ص.925).

أما اصطلاحًا فيدل على كل نظام في أي شيء. ويعرف محمد مفتاح النسق بقوله «ما كان مؤلفًا من جملة من عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكون تنظيمًا هادفًا إلى غاية، وهذا التحديد يؤدي إلى نتائج عديدة» (مفتاح، 2000، ص.29)، وتعدّ الأنساق الثقافية أنماطًا أو نظمًا متكاملة من القيم، والمعتقدات، والعادات، والأفكار التي توجه سلوك الأفراد في مجتمع معين. ويمكن اعتبارها بمثابة «الإطار» الذي يحدد طرق التفكير والعمل والتفاعل في مختلف جوانب الحياة اليومية. وتتشكل الأنساق الثقافية من عناصر متعددة مثل الدين، الأخلاق، الفنون، العادات الاجتماعية، اللغة، والأساطير، وتؤثر على تشكيل الهوية الثقافية للأفراد وتفاعلهم الاجتماعي.

وترتبط الأنساق بمفردة ثقافة لتمييزها عن الأنساق الأخرى الفلسفية والتاريخية والنقدية. ونعثر في المعاجم والقواميس العربية القديمة منها خاصة، في من مادة (ث، ق، ف)؛ »ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة: ورجل ثُقُفٌ وثَقِفٌ وثُقْفٌ حاذق فهم (...) ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، وثقفنا فلان في موضع كذا أي أخذناه، وفي التنزيل العزيز: ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم.﴾» (ابن منظور، 2003، ص.684)

أما اصطلاحا يعني «مفهوم الثقافة قدرًا كبيرًا من الغموض، فطبقًا لما يراد لبعض علماء الأنثروبولوجيا فإن الثقافة هي نمط السلوك الاجتماعي. بينما يرى آخرون انها ليست سلوكا على الاطلاق، وإنما هي – على النقيض من ذلك – تجرد من السلوك. ويرى البعض أن الفئوس الحجرية والصناعات الخزفية والرقص، والموسيقى والموضة، والأسلوب الإبداعي بشكل عام هي مكونات ثقافية. في الوقت الي يرى فيه البعض الآخر أن الماديات لا تدخل في نطاق الثقافة على الاطلاق» (ساردار وفان لون 2003، ص. 8)، كما يعرفها إدوارد تايلور بأنها «الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع» (Taylor, Primitive Culture, 1920, p. 1.). فالثقافة «تتمتع بفضيلة السماح بالاختلاف، مسلمة بتنوع القيم الثقافية وممارستها، لكن سرعان ماشغلت الفضاء المتاح كله، فصارت تشرح الآن كل شيء، وتحدد ماكان موجودًا، وتعرّف هويتنا، وتجعل من أجسادنا «حقيقة ملموسة» لقد أصبحت الثقافة حجر الأساس المعرفي، فإعطاء الأولوية الكاملة للأفكار والنص المكتوب» (بيلسي، 2017، ص.17) تعني «ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاقيات، والقوانين، والأعراف، والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة؛ بوصفه عضواً في المجتمع» (ساردار وفان لون، 2003، ص. 8). ف»الثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع ثم إن المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة» (تومبيسون وآخرون، 1998، ص.8)، ويقول كلود ليفي ستروس «يمكن اعتبار كل ثقافة مجموع أنساق رمزية تتصدرها اللغة وقواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين. كل هذه الأنساق تهدف الى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية، وأكثر من ذلك الى التعبير عن العلاقات التي ترتبط بها كل هاتين الحقيقتين بالثانية» (كوش، 2007، ص.77).

ويجري استخدام كلمة (النسق): « كثيرًا في الخطاب العام والخاص وتشيع في الكتابات إلى درجة تشوه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعنى ما كان على نظام واحد، وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية structure) كما في تعريف المعجم الوسيط، أو معنى (النظام system) حسب مصطلح دي سوسير، ويعرف معجم Oxford الكلمة «system» بكونها «مجموعة من الأشياء تعمل معًا كأجزاء من آلية أو شبكة متصلة، كل معقد» و»مجموعة من المبادي أو الإجراءات التي يتم بموجبها عمل شي ما، مخطط أو طريقة منظمة» (Oxford languages, www.oxford languages.com). واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهوم خاص للنسق» (الغذامي، 2005، ص.76)، ويقدم عبدالله الغذامي مفهومه للنسق في مشروعه النقدي، فمنحه حمولة دلالية وسمات اصطلاحية خاصة حددها «عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد، أو فيما هو في حكم النص الواحد. ويشترط في النص أن يكون جماليًا، وأن يكون جماهيريًا، ولسنا نقصد بالجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلًا «(الغذامي، 2005، ص.77).

ففي هذا التحديد تظهر مواصفات النسق، ومواصفات النص الحامل له، فالنسق –تبعًا لهذا التحديد– عبارة عن تعارض نظامين يكون النسق الثقافي فيه مضمرًا ومناقضًا للظاهر، ويكون في خطاب جمالي بالمعنى المباشر للجمال، كون الجمال إحدى حيل الثقافة لتمرير أنساقها، فمن خصائص الأنساق الثقافية:

1-التكامل: الأنساق الثقافية مترابطة وتؤثر في بعضها البعض. على سبيل المثال، النسق الديني يمكن أن يؤثر على النسق الأخلاقي والاجتماعي.

2-الديمومة والتغير: غالبًا ما تكون الأنساق الثقافية مستمرة عبر الزمن، لكن يمكن أن تتغير بفعل التفاعلات الاجتماعية أو التأثيرات الخارجية مثل العولمة.

3-الشمولية: تغطي الأنساق الثقافية كافة جوانب الحياة الاجتماعية، من التفاعلات الشخصية إلى العلاقات الاقتصادية والسياسية.

4-التأثير المتبادل: تؤثر الأنساق الثقافية على الأفراد، كما يساهم الأفراد في تشكيل هذه الأنساق وتعديلها من خلال ممارساتهم وتفاعلاتهم.

ومن التعريفات اللغويّة العربيّة والانجليزيّة اِشتراكها في كون النّسق نظاما أو تنظيما يشمل اللغة ويتعدّاها إلى غيرها من الشبكات التي تصل الأشياء أو الأشخاص أو غيرها من الكائنات (الحارثي، 2021، ص.4)، وبذلك يمكن الإشارة إلى أن النسق الثقافي هو مجموعة القيم، المعايير، والعادات السائدة في مجتمع معين، التي تشكل خلفية أو بنية ثقافية تساهم في تشكيل تصورات الأفراد وتوجهاتهم وسلوكياتهم. حيث يمثل الإطار العام الذي يُسهم في تحديد معايير ما هو مقبول أو مرفوض ثقافيًا، ويعمل كمرجع مشترك للأفراد ضمن المجتمع. وترتبط بشكل وثيق بنظرية النقد الثقافي، التي تُعنى بتحليل النصوص من منظور يتجاوز البنية اللغوية والجمالية ليشمل البنية الثقافية والاجتماعية. وتفترض هذه النظرية أن الأدب والفن ليسا معزولين عن سياقهما الاجتماعي والتاريخي، بل هما انعكاس لثقافة المجتمع بما تحمله من قيم ومعايير وسياقات سلطوية.

1- نسق المباهاة في شعر حاتم الطائي:

إن الإضمار في نسق المباهاة في شعر حاتم الطائي يُعبّر عن رؤية ثقافية متجذّرة تتجاوز الخطاب الظاهر، حيث يصبح الفخر بالنسب والكرم والشجاعة وسيلة لتشكيل هوية فردية وجماعية متمايزة، تُحافظ على استمراريتها عبر الأجيال. ومن ثم، فإن دراسة الإضمار في هذا السياق تكشف عن ديناميات التفاعل الثقافي بين الفرد والمجتمع في الشعر العربي القديم. وكثيرًا ما تُبنى صورة المباهاة في شعره على وصف الأفعال النبيلة كإطعام الضيف، أو حماية المستجير، أو التضحية بالنفس. هذه الصور لا تعني فقط الكرم أو الشجاعة كقيم فردية، بل تُضمِر وراءها خطابًا ثقافيًا يُعلي من شأن القبيلة ويضعها في مكانة عليا مقارنةً بالآخرين.

ويتجلى نسق المباهاة في شعر حاتم الطائي في قيم الكرم، والشجاعة، والفخر، والقيادة. وهي قيم متجذرة في المجتمع الجاهلي، انعكست في القصيدة العربية قبل الإسلام فكانت وسيلة لتعزيز مكانة الفرد في قبيلته، وتناولها الشعراء في أغراضهم كالفخر والمدح والوصف فتجلت في أبهى حللها، واعتز بها أهل الجاهلية وتغنّوا بها في حلهم وترحالهم فخلد التاريخ ذكرها.. ويتشكل نسق المباهاة من عدة صفات يتحلى بها الإنسان أو حسب ونسب، وأهمها صفات الكرم، الشجاعة، الفخر، وهي موضوعات وظفها حاتم الطائي في معظم قصائده.

محور التباهي بالكرم: يباهي حاتم الطائي بكرمه الواسع، بوصفه أحد أهم القيم الإنسانية المنتشرة في العصر الجاهلي، فهو يشيد به صرحًا شامخًا وعرفًا أصيلًا وفضيلة أخلاقية، بل يعتبره مبعثًا للفخر والشهرة وعندما يصور حاتم الطائي في قصائده قيمة الكرم يستعير لها صورا من الواقع ويمثل لها بأجمل الصور البيانية، كتقديم الطعام لضيوفه بسخاء لا مثيل له، وتضحيته بكل ما يملك من أجل إكرام زائريه أو عابري السبيل، حتى بلغ به الأمر المجازفة بحياته لتلبية حاجات من حوله. لذلك جاوز الكرم في شعره السخاء المادي ليصبح رمزًا للشجاعة والقوة والنبل الأخلاقي، مما يعكس التصور الجاهلي لشيم الرجولة والمروءة. وفي هذا السياق يصف حاتم الطائي مشهد استقبال ضيفه قبل أن يُنزل رحله وهو يجامله ويضاحكه مبديًا سعادته بقدومه، فيقول: (الديوان، 2011، ص.263)

أَضاحِكُ ضَيفي قَبلَ إِنزالِ رَحلِهِ

وَيُخصِبُ عِندي وَالمَحالُ جَديبُ

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

فيتجلى نسق مباهاة الشاعر بنفسه وتعجله بمقدمات الضيافة قبل نزول الضيف، ثم يقرئ ضيفه معبرًا عن حاجته الملحة للمؤانسة فيحل الخصب محل الجدب والأنس بدل الوحشة بنزول الضيف من رحله. لقد وجّه هذا البيت الاهتمام نحو البذل والعطاء دون حدود، ثم جعل من إكرام الضيف عاملًا من عوامل الفرح والانتشاء. وهذا مما يعزز مكانة الشاعر بين أبناء القبيلة ويظهر الكرم واجبًا اجتماعيًا غير مشروط، هذا النسق في التعبير يعكس قيمة الكرم الجاهلي حيث يُعتبر إكرام الضيف فضيلة عظيمة ومبعثًا للتفاخر والمباهاة، فالإسراع إلى إكرام الضيف بأفضل ما يملك المرء من النعام، وأن يجود بآخر ما يملك ولو كان فرسه لهو من أجلّ الخصال وأنقى النفوس وأرقاها. وهو موقف يخدم نسقيًا فكرة الكرم الفائق، فاستقبال الضيوف دون انتظار طلبهم، هو من أهم القيم الأخلاقية في المجتمع العربي القديم، والانتشاء في موقف الضيافة يعدّ من باب الكرم المفرط. أما موقف الإكرام فيعقب فاتحته، وهو ما صوّرته القصيدةُ بموقفَ الضيافة في مشاهد التفاخر والمباهاة، كما يتضح في البيت الآتي: (الديوان، 1981، ص.70)

وَإِنّي لَأَقري الضَيفَ قَبلَ سُؤالِهِ

وَأَطعَنَ قِدماً وَالأَسِنَّةُ تَرعُفُ

ففي هذا البيت، لا ينتظر الشاعر أن يسأله الضيف عن الطعام بل يسبق طلبه نيته فيوافيه بحاجته المتوقعة في الحال، كما يعبر عن شجاعته في المعارك فيجمع بين نقيضين يرى الشاعر نفسه سباقا إليهما وهما الحرب بما يدور فيها من طعن ورمي بالأسنة، والكرم وما يتوجب على صاحبه أن يوفره من خدمة وسخاء وإيثار. ويوظف الشاعر هذه الفضائل لترسيخ مكانته بين القبائل وتأكيد سموه الأخلاقي.

ويعد كرم الضيافة من القيم الأصيلة في الجاهلية، ذلك أنّ الرجل الكريم لا يُنزل عياله وضيوفه في مكان قاسٍ أو ضارٍ، بل يقدم لهم كل ما يمكنه لتوفير الراحة والحماية لهم، ويقول: (الديوان، 2011، ص.159)

وَلا يُنزِلُ المَرءُ الكَريمُ عِيالَهُ

وَأَضيافَهُ ما ساقَ مالاً بِضَرَّةِ

ويُظهر حاتم الطائي تواضعه واعتداده بنفسه وتغنيه بكرمه حتى عند الشدائد، فيقول: (الديوان، 2011، ص.263)

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

فالفخر بالكرم ليس بتقديم الطعام فحسب بل بابتسامة المضيف وبشاشة وجهه. وهذا مقوم آخر من مقومات نسق التباهي بالكرم، يظهر في يقينه بأن جوهر الكرم هو في حسن الاستقبال وكرم الضيافة، مما يعكس فيضًا من المشاعر الإنسانية الأصيلة التي يبديها الشاعر بعيدا عن المصلحة الخاصة أو السلوك الانتهازي، حيث ترسم على وجه الضيف بهجة وسرورا وارتياحًا يقول الشاعر:

وما من شيمتي شحّ وإني

أُكرم ضيفي كحُكم القوم ديني

يتجلى البيت الشعري كمرآة تعكس قيمة الكرم كمبدأ محوري في الثقافة الجاهلية. تتبدى قيمة الكرم في البيت من خلال عدة مستويات تحليلية: فالشاعر يفتتح البيت بنفي «الشح»، مما يشير إلى رفض أي صفة سلبية تتعارض مع الكرم، ويجعل من الكرم جزءًا أصيلًا من هويته الأخلاقية. الكرم هنا ليس مجرد فعل اختياري بل هو «شيمة»، أي خصلة متجذرة في الشخصية تعبر عن قيم متوارثة للإعلان عن الهوية الأخلاقية. أما المستوى الثاني: تم اقتران الكرم بـ»حكم القوم» يجعل العطاء التزامًا اجتماعيًا يمليه العرف القبلي. يشير هذا إلى أن الكرم ليس مجرد فضيلة فردية، بل هو معيار جماعي يشترك فيه أبناء القبيلة، ومنه يستمد الفرد مكانته والارتباط بالموروث الثقافي، ويشبّه الشاعر الكرم بالدين، وهو تشبيه يعكس مستوى الالتزام العميق. هذا التشبيه يعزز فكرة أن الكرم واجب أخلاقي لا ينفصل عن العقيدة الاجتماعية، مما يضفي عليه طابع القداسة من خلال البعد الديني والواجب الأخلاقي، فالكرم في هذا السياق يتجاوز العطاء للفرد (الضيف) ليصبح تعبيرًا عن الحفاظ على وحدة الجماعة وشرفها. في المجتمع الجاهلي، كأن الكرم شرطًا أساسيًا للحفاظ على السمعة والمكانة الاجتماعية والعلاقة بين الفرد والجماعة.

ويتمثل النسق الثقافي المضمر في البيت ربط الكرم بالواجب القبلي. هذا النسق يكشف عن دور الفرد كجزء من نظام اجتماعي يُلزمه بأن يكون كريمًا لتحقيق الانسجام الاجتماعي. يصبح الكرم أداة للحفاظ على «الشرف الرفيع» كما وصفته الثقافة الجاهلية، ويؤكد أهمية «لزوم ما يلزم»، أي الالتزام بالقواعد غير المكتوبة التي تحكم العلاقات الاجتماعية.

فالشاعر يؤدي دور الوسيط الثقافي الذي ينقل هذه القيم عبر الأجيال. فهو لا يكتفي بالتعبير عن مشاعره أو تجربته الفردية، بل يقدم الكرم كرسالة خالدة. وهذا يعكس دور الشعر الجاهلي كوسيلة للحفاظ على الموروث الثقافي ونقله. يقول: (الديوان، 2011، ص.169).

أَلُفُّ بِجلسي الزادَ مِن دونِ صُحبَتي

وَقَد آبَ نَجمٌ وَاستَقَلَّ نُجومُ

ومما يعكس إيثار الشاعر غيره على نفسه وصفه طريقة إخفاء الطعام عن أصحابه كي يضمن لهم الزاد قبل أن يأخذ لنفسه. هذه التضحية تعبر عن الإيثار الذي كان سمة بارزة في شخصية حاتم الطائي، فهو يحجب الزاد عن نفسه لصالح أصحابه، عندما بدأت النجوم بالظهور.

كما يظهر الكرم في الامتناع عن التزاحم على الطعام حتى لو كان جائعًا، حيث يشعر بالخجل من أن يُرى وهو يمد يده ليأخذ الطعام أمام أصحابه، فيقول: (الديوان، 2011، ص.167):

وَإِنّي لَأَستَحيي صِحابِيَ أَن يَرَوا

مَكانَ يَدي في جانِبِ الزادِ أَقرَعا

ومن ثم يتحدث عن تقصير يده عمدًا عن الطعام عندما يكون مع أصحابه وحاجاتهم متساوية، وذلك خوفًا من أن يُتهم بالبخل أو الأنانية، (الديوان، 2011، ص.167):

أُقَصِّرُ كَفّي أَن تَنالَ أَكُفَّهُم

إِذا نَحنُ أَهوَينا وَحاجاتُنا مَعا

محور المباهاة بالشجاعة والقوة: عندما جاوَرَ حاتمُ طيئٍ في زَمَن الفَسادِ – وكانتْ حَرْبُ الفَسادِ في الجاهِليّة بَيْنَ جَديلَةَ والغَوْث – بَنِي زِياد بن عبد الله مِن بني عَبْس، أَحْسَنُوا جِوارَه، فقال فيهم: (الديوان، 2011، ص.139)

لَعَمرُكَ ما أَضاعَ بَنو زِيادٍ

ذِمارَ أَبيهِمِ فيمَن يُضيعُ

بَنو جِنّيَّةٍ وَلَدَت سُـيوفاً

صَوارِمَ كُلُّها ذَكَرٌ صَنيعُ

القسم في «لَعَمرُكَ» يعطي انطباعًا قويًّا عن مدى تأكيد الشاعر على فخره ببني زياد. فهو يفخر بأفعال السيوف الصوارم، في دلالة على الشجاعة والإقدام، وهو ما يعكس ثقافة الفروسية. مستخدمًا الاستعارة في تصوير المواليد بالسيوف وكلها ذكور مما يضفي عليها القوة. وتصويرها بأنها من نسل «جنيّة» يضفي عليها طابعًا أسطوريًّا، مما يجعل منها رمزًا للهيمنة والقوة التي تُرهب الأعداء. والانتقال في الأبيات من الإشارة إلى الأب المؤسس (زياد) إلى أبنائه يعكس مفهومًا جوهريًّا في الثقافة الجاهلية، وهو توريث القيم والمبادئ عبر الأجيال. ليؤكد أن هذه القيم ليست مؤقتة أو مرتبطة بشخص واحد، بل هي دائمة ومتوارثة.

فالشاعر يفتخر بحفظ بني زياد شرف والدهم وحمايته، والتزامهم بالقيم والمبادئ التي ورثوها عن آبائهم. وهو ما يدل على إعلاء قيمة الموروث والاعتزاز به بوصفه مفخرة القوم ومكسبًا للقبيلة. وهذا مثال بليغ يشيد بالقوة والشجاعة ويباهي بها. كما يظهر نسق المفاخرة بالشجاعة والصلابة في مواجهة الأعداء في قوله: (الديوان، 1981، ص.70)

وَإِنِّيَ أَرمي بِالعَداوَةِ أَهلَها

وَإِنِّيَ بِالأَعداءِ لا أَتَنَكَّفُ

في هذا البيت، يعبر الشاعر عن استعداده لتحمل العداوة والخصومة دون تردد، وهو ما يعكس قيمة الشجاعة بوصفها قيمة مركزية في المجتمع الجاهلي. ويفتخر الشاعر بإقدامه على التحديات مما يظهر الفخر بالقوة والمكانة القتالية في القبيلة، فيتباهى بشجاعته وفروسيته، قائلا: (ديوان، 2011، ص.159)

لَمّا رَأَيتُ الناسَ هَرَّت كِلابُهُم

ضَرَبتُ بِسَيفي ساقَ أَقعَى فَخَرَّتِ

فَقُلتُ لِأَصحابٍ صِغارٍ وَنِسوَةٍ

بِشَهباءَ مِن لَيلِ اليمانين قَرَّتِ

عَلَيكُم مِنَ الشَطَّينِ كُلَّ وَرِيَّةٍ

إِذا النارُ مَسَّت جانِبَيها اِرمَعَلَّتِ

في هذا المشهد الحكائي يصف الشاعر موقفًا شجاعًا يتمثل في إقدامه على مواجهة الأعداء وصدّ المخاطر قبل أن يستفيق الناس، فعبر عن ذلك بقطع ساق الأفعى بسيفه كناية عن السرعة والدقة في إصابة الهدف كناية عن التهديد أو العدو وهو تعبير بليغ عن شيمة النبل والشجاعة والحنكة في حماية قبيلته من مباغتة الأعداء لذلك صوّر الشاعر نفسه حاميًا للضعفاء من النساء والأطفال يبث في نفوسهم الطمأنينة والأمان وهم في مقام فزع وخوف، فيجلي الظلمة عن المكان بإشعال النار ويزيل بكلماته الخوف عن القلوب. وهو ما يعكس أهمية قيمة الشجاعة والإقدام في إعلاء شأن الشاعر في قومه وتمجيد ذكره والاقتداء بأفعاله في كل الأزمنة والأمكنة.

ويبدي الشاعر قدرا من الحياء والحذر مِنْ الناس أن يتنبهوا إلى جوعه واشتهاء مما يبرز فضيلة الحياء والعفة في التعامل مع الآخرين، فضلًا عن صبره ونصرته لقبيلته في الليالي الحالكة والظروف القاسية. فيقول: (الديوان، 2011، ص.169)

وَما كانَ بي ما كانَ، وَاللَيلُ مِلبَسٌ

رِواقٌ لَهُ فَوقَ الإِكامِ بَهيمُ

ففي هذا البيت يكرر الشاعر كلمة «الليل» وينعته بـ»ملبس» و»بهيم» ليعبر عن حجم المصاعب التي يتحملها وقسوة الظروف التي عليه أن يتحداها في تلك الليلة المظلمة حيث تصعب الرؤية فيجعل الظلام الحالك مهمة الحماية صعبة. حينئذ ينبري الشاعر لها شجاعا جلدا لا يثنيه شيء عن التصدي للعدو والتنكيل به.

يتضح نسق المفاخرة في الأبيات التي تتناول مراسم الاستعداد للقتال والقدرة على مجابهة الصعوبات، فيقول: (الديوان، 2011، ص.177).

فَإِذا ما مَرَرتَ في مُسبَطِرٍّ

فَاجمَحِ الخَيلَ مِثلَ جَمحِ الكِعابِ

فأسلوب الشرط يقتضي من الحارث أن يعجل بجمع الخيل عند مروره بشدة استعدادا للقتال كما تثب الخيل مستنفرة في الحرب، وهو ما يعكس قيمة الشجاعة وأهمية الأخذ بالأسباب في عرف أهل الجاهلية، ثم يستذكر الشاعر عندما كانوا يقيمون وليمة من الصيد، في جو مفعم بمشاعر الاعتزاز والفخر وبالقدرة على توفير الموارد: (الديوان، 2011، ص.173).

لَيالِيَ نُمشي بَينَ جَوٍّ وَمِسطَحٍ

نَشاوى لَنا مِن كُلِّ سائِمَةٍ جُزُر

ومما يعكس مشاعر الفخر بالقوة والقدرة على الصيد وتقديم الولائم، وهي قيمة بارز في المجتمع الجاهلي، ما تضمنه البيت من أحداث حقيقية رواها الشاعر من شأنها أن ترفع مكانة القوي والشجاع وتجعله مصدر فخر لقومه.

ويتمنى الشاعر لو أن خصمه فقد أنفه تمامًا ذلك أنّ الأنف في الثقافة الجاهلية يعدّ رمزا للشرف والكرامة. ففي مفاخرة بين الشاعر وسعد بن حارثة تفطن إلى أن القوم «أرادوا أن يفضحوه كما فُضح عامر بن جوين قبله، فوثبوا إليه فتناول سعد بن حارثة بن لام حاتمًا، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا»(زيدان، 2017، ص70)، وهو ما عبر عنه حاتم الطائي في البيت الموالي: (الديوان، 2011، ص.245)

وَدِدتُ وَبَيتِ اللهِ لَو أَنَّ أَنفَهُ

هَواءٌ، فَما مَتَّ المُخاطَ عَنِ العَظمِ

إنّ فقدان الأنف في عادات العرب القديمة، يعادل فقدان الشرف والكرامة، فمكانة الفرد وحياته مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشرفه. وهو نسق ثقافي متجذر في القبائل العربية قبل مجيء الإسلام.

وإذا كانت الشجاعة لا تقاس بما يملك الإنسان من ثروة فإنّ الكرم لا يحتكم إلى المال ولا ينفيه الفقر. فمما روته نوار امرأة حاتم عن أيام الجدب قالت: أصابتنا سنة اقشعرَّت لها الأرض واغبرَّ أفق السماء، وضرب الجوع أطنابه حتى بتنا بالهلاك، فبقينا الليل على هذا الحال والموت يتهددنا ويتهدد أولادنا، فقام حاتم إلى الولدين، وقمت أنا إلى الابنة وما سكتوا إلَّا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت، فلما إسود الدجى إذا بصوت قد سمع ويد حركت الباب فقال: من هذا؟ قالت: جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون كالذئاب فما وجدت سندًا سواك يا أبا عدي، فقال: عليَّ بهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين وتمشي وراءها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه فنحره،... فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر (زيدان،2017 ، ص.74)، فأنشد يقول: (ديوان، 2011، ص.181)

مهلًا نوار، أقلّي اللَّوم والعذلا

ولا تقـــولي لشيء فـات: ما فعـــلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكـــه:

مهلًا، وإن كنتُ أعطي الجـنَّ والخَبَلا

ويستدل الشاعر في هذه الأبيات على نسق المباهاة بشيمة الكرم بما يعارضه من ذم البخيل بعد موته، ويتجلى هذا التباهي في عدة نقاط منها قوله: «مهلًا نوار، أقلّي اللَّوم والعذلا / ولا تقولي لشيء فات: ما فعلا». إذ يعتدّ الشاعر بفلسفته الخاصة في الحياة، زوجته بالكفّ عن اللوم والنقد. وحجته في ذلك رفضه الشعور بالندم على ما فات من أفعاله، ثم يتباهى بأنه يعطي المال بسخاء حتى ولو كان يعطى «الجنَّ والخَبَلا»، مما يعزز صورته كرجل كريم لا يهتم بمقدار ما يُنفق، ما دام يعطي بدون حدود. ويقول: (ديوان، 2011، ص.181)

إن البخيل إذا ما مات يتبـــعه

سوءُ الثناء، ويحوي الـوارثُ الإبـلا

يَسعى الفَتى وَحِمامُ المَوتِ يُدرِكُهُ

وَكُـلُّ يَـومٍ يُـدَنّي لِلفَـــتى الأَجَـــلا

إِنّي لَأَعلَمُ أَنّي سَوفَ يُدرِكُـني

يَومـي وَأُصبِـحُ عَن دُنيايَ مُشتَغِـلا

ويضيف قائلا: «إن البخيل إذا ما مات يتبعه / سوءُ الثناء، ويحوي الوارثُ الإبلا». فالشاعر يبدو متباهيا باختلافه عن غيره ممن اختاروا البخل فلحقهم ذم الناس بعد الموت. وأنّ ما هو عليه من كرم وبذل، لن يكون جزاؤه إلا الثناء والإطراء وفي ذلك حجة دامغة لإقناع الزوجة ودليل قاطع على اعتزازه بكرمه المفرط.

وينتقل الشعر في البيت الموالي إلى الإيمان والرضا بالقدر المتربص به قائلا: ثم «يَسعى الفَتى وَحِمامُ المَوتِ يُدرِكُهُ / وَكُلُّ يَومٍ يُدَنّي لِلفَتى الأَجَلا». وفي ذلك اعتراف بأنّ أجل الإنسان آت وأن مصيره الفناء. كما يظهر التباهي في مواجهة الشاعر للموت بثقة وهدوء، حيث استقر في ذهنه أن الموت قريب ولكنه لا يهابه ويستلزم إقراره بحتمية الموت، في قوله: «إِنّي لَأَعلَمُ أَنّي سَوفَ يُدرِكُني / يَومي وَأُصبِحُ عَن دُنيايَ مُشتَغِلا»، استعداده لمواجهة، مصيره المحتوم، مما يُظهر قدرا من رجاحة عقله وتسليمه بالفناء، وهو ما يعكس سموًّا في النفس وقوة لا تتزعزع.

إنّ نسق المباهاة في شعر حاتم الطائي لا يتمثل في الكرم فحسب، بل أيضًا في اعتزاز الشاعر بفلسفته تجاه الحياة والموت، وفي قدرته على تجاوز الخوف من النهاية الوشيكة عبر أفعاله النبيلة، التي تجعل منه شخصية خالدة في الذاكرة الجمعية.

محور التفاخر بالنسب والمجد العائلي: ومن السمات البارزة في الشعر العربي القديم ما عبر عنه الشاعر معتدًا بأفعال قبيلته وقيمها، حيث كان الشعراء يمجدون أنفسهم وقبائلهم بذكر إنجازاتهم وقيمهم الأخلاقية. يقول حاتم في غرض الفخر بنسبه: (ديوان، 2011، ص.223)

أنا المفيد حاتم بن سعد

أعطي الجزيل وأفي بالعهد

أورثني المجـد بناة المجد

أبي وجدي حشرج ذو وقد

ويتجلى في هذا البيت نسق التباهي بالنسب والفخر بالجدود. فيذكر حاتم أن المجد موروث من أبيه وجده، معززًا مكانته الاجتماعية بفخره بنسبه العريق. مما يعكس الأهمية التي كانت توليها القبيلة للنسب الشريف، والذي كان يُعتبر معيارًا رئيسًا للمكانة الرفيعة والاحترام في المجتمع الجاهلي. كما يرى الشاعر أن الجود والكرم لا ينفصلان عن الانتماء القبلي الأصيل، فيستخدم هذا الفخر أسلوبا لتعزيز مكانته بين قومه.

ولا يتوانى الشاعر في مدح نساء القبيلة:

وَجارَتُهُم حَصانٌ ما تُزَنّى

وَطاعِمَةُ الشِتاءِ فَما تَجوعُ

فهو يصفهن بالعفة والكرامة والقناعة. وهي قيم عليا في المجتمع الجاهلي. كلمة «حصان» تشير إلى المرأة العفيفة المحصنة، والتي لا ترتكب ما يعيب شرفها. أما وصفها بأنها «طاعمة الشتاء»، فيعني أنها مصدر عطاء وكرم، حتى في وقت الشدة، أي فصل الشتاء الذي يرتبط بالقسوة والجوع. فهو لا يكتفي بالحديث عن نفسه أو رجالات القبيلة، بل يعمّم الحديث ليشمل النساء أيضًا، مما يعكس أهمية دور المرأة في المجتمع الجاهلي. إنهن شريكات في تعزيز مكانة القبيلة، سواء من خلال الحفاظ على الشرف أو تقديم الكرم.

كما يظهر حاتم في شعره تمسكًا كبيرًا، بتلك الخصال وعدم التنازل عنها ولا سيما الكرم، حتى لو ناقض وتلك فضيلة تحسب له، إلا أن الإفراط في التمسك بها دون قد يؤدي إلى عدم التكيف مع الظروف المتغيرة في بعض الحالات، فقد يكون من الضروري التخلي عن بعض القيم لتحقيق بعض الغايات أو المآرب ومواجهة بعض التحديات التي تقتضي المراوغة والخداع.

ولكنّ صفة الكرم التي يتميز بها أهل القبيلة لا تنحصر في فصل من فصول السنة التي يكثر فيه الحصاد والرعي والدفء ويتوفر الطعام، وإنما في أوقات الشتاء القاسية أيضا. ويعود الشاعر في البيت الموالي فيباهي بخصال حميدة أخرى هي العفة والكرم قائلا:

شَرى وُدّي وَتَكرِمَتي جَميع

لِآخِرِ غالِبٍ أَبَداً رَبيعُ

فكل من يطلب ودّه أو كرمه لن يخذله أبدًا. وفي هذا تأكيد على جانب آخر من الكرم الذي يُباهي بها الشاعر، معتبرًا أنها قيمة لا تتغير. فالبيت يمجد القيم الأساسية المرتبطة بالنسب الشريف، مثل الكرم المطلق والود، اللذان يعدان من رموز النبل التي كان يُقدّر بها الفرد في المجتمع القبلي العربي. التفاخر هنا يأتي من تقديم السخاء كقيمة أساسية في هوية الشاعر وأخلاق قبيلته

2– نسق الرفض والتفاوت الطبقي:

يبدي حاتم الطائي رفضه للفوارق الاجتماعية وتأكيده على قيم المساواة والكرامة بغض النظر عن عامل الثراء أو الفقر، فيعبر عن رفضه الصريح للتفاوت الطبقي من خلال تضحيته، وإيثاره وتحمل الأعباء والمسؤوليات عن الآخرين من دون انتظار كلمة شكر أو جزاء مقابل أفعاله، فالتضحية المستمرة قد تؤدي إلى استنزاف الفرد جسديًا ونفسيًا مما يضعه في موقف يمكن أن يستغله الآخرون، على الرغم من أن هذا النسق يظهر نبل أخلاقه، فيقول: (الديوان، 2011، ص.77)

أَبيتُ خَميصَ البَطنِ مُضطَمِرَ الحَشى

حَياءً أَخافُ الذَمَّ أَن أَتَضَلَّعا

إذ يخشى أن يُتهم بالبخل إذا تناول الطعام أمام ضيوفه. ومما يعمق فكرة المساواة بين الناس عند الشاعر وعدم التفريق بينهم بناءً على طبقاتهم الاجتماعية، تمرده على ظاهرة الكيل بمكيالين والتمييز الاجتماعي بإكرام ضيوفه كيفما كانت مستوياتهم الاجتماعية وظروفهم المادية. ولا يتنزل ذلك في خوفه على سمعته ومكانته عند الناس فحسب وإنما لتجذر قيمة التضحية في أخلاقه، مما يدفعه دون وعي منه إلى إيثار غيره عن نفسه وتقديم مصلحة الآخرين على حساب حاجاته الشخصية.

محور رفض الفوارق الطبقية: لم يكن يفرق الشاعر بين فقير وغني مما يعكس محاولته تخطّي الفروق الاجتماعية القائمة قوله:

وَإِنِي لَحَسّانُ العَديدِ لَمُجتَدٍ
إِذا نَسَبوا أَحسابَهُ لِذَوِي العُلا

ففي هذا البيت يبرز الشاعر خصلة أخرى تتمثل في عد استغلال مكانته الاجتماعية للتفريق بين الناس بل لتعزيز دوره كمعين ومساعد للجميع، بغض النظر عن خلفيتهم الاجتماعية فرغم كرمه المفرط، إلا أن نسقًا مضمرًا يتعلق بالتفوق الطبقي والسلطة الاجتماعية ينشأ من ذلك الكرم ويفرض نفسه، مما يعزز فكرة التفاوت الطبقي بين من يملك القدرة على العطاء ومن يحتاج إليه حيث يقول:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعنْ

برأي لبيبٍ أو نصيحةِ حـازمِ

ولم أستشر نفسي لآراءٍ بئيسةٍ

ولا كنت في قومي سوى المتقدّمِ

ويعد الفخر نسقًا ظاهرًا في شعر الطائي تعبر عنه شبكة العلاقات الوطيدة بين أفراد القبيلة وما يترتب عنها من تقديم المشورة على الرأي الفردي. إلا أنّ نسقًا مضمرا يأبى أن يخفيه الشاعر عندما يحدّ الجدّ فتراه لا يسبقه إلى المجد أحد في ردّ العدوان تماما مثل إكرام ضيفه. ففي إطار الفخر بالقبيلة يعبر الشاعر عن قيمة العلاقات العائلية أيضًا، فيتفاخر بشهامة ابن عمه وإقدامه عندما قضى بطعنة من سيفه على خصمه، فيقول: (الديوان، 2011، ص.245)

وَلَكِنَّما لاقاهُ سَيفُ اِبنِ عَمِّهِ

فَأَبَّ وَمَرَّ السَيفُ مِنهُ عَلى الخَطمِ

ونتيجة ترابط العلاقات بين أفراد القبيلة والعائلة وتشابك المصالح تعززت ظاهرة الحمية والثأر وكان الفخر بالقرابة عاملًا

انتخاء على غرار ما فعل ابن العم في المعركة ترجم قيمة التضامن والنخوة والفداء تماسك القبيلي.

كما يعبر الشاعر عن رفضه للأعراف القبلية التي تفرض على الفرد سلوكيات معينة خشية أن يلحق به العار والذم، كما يترفع عن شهواته فيقول: (الديوان، 2011، ص.168)

لَقَد كُنتُ أَطوي البَطنَ، وَالزادُ يُشتَهى

مَخافَةَ يَوماً أَن يُقالَ: لَئيمُ

فهو يظهر امتناعه عن الأكل رغم جوعه الشديد ووفرة الزاد حفظا لماء الوجه، فكيف يجوز لكريم مقدام أن يظهر ضعفه وفقره وحاجته للناس، بل يكتم رغباته مخافة أن ينعت بالبخل واللؤم. إنّ الحياء والخوف، والحذر مما قد يلحق بالشاعر من مذمة ومنقصة من عوامل تمسكه بتلك الصفات ومبالغته في التحلي بها وفيها يجد مبررات صنيعه؛ فهو يتحمل الجوع ليلاً كيلا يُقال عنه أنّه لئيم، لذلك كان الشاعر يرفض أي سلوك قد يُفسر على هذا النحو.

ومن المخاوف التي تراود الشاعر حرصه على موقعه في القبيلة، لذلك أورد كلمة «مخافة» بمعنى الحذر من أن يوصف بـ «اللؤم» وليس مجرد خوف من الذم، بل هو في واقع الأمر حرص على انتمائه لقبيلته التي يمثل فيها قدوة حسنة وتتخذ أقواله وأعماله رمزا للفتوة العربية. وما الكرم إلا سمة من سماتها وعنصرا مشكلا لذلك ارتبط النسق الثقافي المضمر الذي عبرت عنه القصيدة بالخوف من الانسلاخ عن الهوية وعدم تخليد اسمه واسم قبيلته. وفي ذلك يقول حاتم متمسكًا بتلك الصفات الكريمة؛ الكرم والبذل والعطاء بغض النظر عن الظروف التي ألمت به: (الديوان، 2011، ص.190):

فـما زادَنـا بَأواً عـلى ذي قـرابـةٍ

غِنانا ولا أزرى بأحسابِنا الفقرُ

فقدما عصيت العاذلات وسُلطت

على مُطفى مالي أناملي العشرُ

ويؤكد رفضه التخلي عن كرم أخلاقه، وشدة تمسكه بها، ما قد يؤدي إلى رفض التكيف مع الظروف المتغيرة فيظهر نوعًا من الجمود والعناد الذي يطبع شخصيته. لذلك يميل إلى تخطي الأعراف التي تقيّد كرامة الفرد وتفرض عليه التمسك بالكرم حتى لو كان ذلك على حساب احتياجاته الشخصية. هذا النسق يعكس تمردًا داخليًا على الضغوط الاجتماعية المفرطة التي تقيد الفرد وتحول دون ممارسة اتجاهاته وميوله. فرفض حاتم اعتبار الفقر من أسباب الوضاعة والمهانة يؤثر على مكانة الفرد في القبيلة، يعني أنّ الكرامة والنسب لا يتأثران بالحالة المالية. لذلك يعبر هذا النسق عن رفض فكرة أن الفقر قد يضعف قيم الكرم أو يؤثر على مكانة الفرد الاجتماعية ويجد مبررًا له في تحدي حاتم الطائي لتلك الأعراف البالية ويرسخ مفهومًا بديلا لمفهوم الفقر يعتمد على القيم الأخلاقية والمساواة. يقول: (الديوان،2011، ص.226):

فلا الجود يُفني المال قبل فنائه

ولا البخل في مال الشحيح يزيدُ

يؤكد الشاعر من خلال هذه القابلة، ما يبرر عقيدته وقناعته بأن الكرم لا يؤدي إلى فناء المال قبل أوانه، وأن البخل لا يؤدي إلى زيادة المال. هذا النسق الثقافي القديم يعلي من شأن الكرم ويعتبر أنه لا ينقص بإنفاق الكريم، وأنّ البخل لا يثري الأغنياء. هذه الفكرة تحيل على معتقد راسخ في الثقافة العربية وهو أن الرزق مكتوب ومحدد، وأن التصرفات البشرية من بخل أو جود لا تؤثر جوهريًا على قَدَر الرزق. لذلك بنى الشاعر موقفه على ادعاء سابق يرفضه بقوة كما في البيت الآتي:

أَماوِيُّ إِمّا مانِعٌ فَمُبَيَّنٌ

وَإِمّا عَطاءٌ لا يُنَهنِهُهُ الزَجرُ

إنّ الإفراط في الكرم قد يؤدي إلى استنزاف الموارد الشخصية وإهمال الاحتياجات الأساسية للفرد وعائلته. ولكن الاحتياجات الشخصية والمجتمعية العشوائية وغير الراشدة كثيرا ما تؤدي بالفرد إلى مواقف محرجة يجعله عُرضة للاستغلال من الآخرين. يعبر الشاعر ببلاغة عن فلسفة توازن القرار، حيث لا يكون الكرم ضعفًا، ولا يكون المنع جورًا، بل إن كلا الموقفين يُتخذان بوعي وحكمة.

ويخبر حاتم الطائي عن معاملته ضيفه قائلا:

وَلا أُزَرِّفُ ضَيفي إِن تَأَوَّبَني

وَلا أُداني لَهُ ما لَيسَ بِالداني

يرفض الشاعر فكرة تقديم معاملة أو ضيافة تختلف باختلاف طبقة الضيف. فكلمة «ولا أداني له ما ليس بالداني» تعكس أن حاتم الطائي لا يقلل من شأن ضيفه ولا يعامله بأقل مما يستحق، بغض النظر عن خلفيته الاجتماعية.، فهو لا يقدم لضيوفه ما هو قليل أو غير مناسب لهم ولا يتأخر عن خدمتهم، وإنما يبذل كل ما يليق بمقامهم احتفاء بهم وإرضاء لذاته ولنزعته الإنسانية نحو العدالة الاجتماعية. لكن الشاعر لا يصرح بأثر صنيعه في النفوس ولا مآله عند الأقوام الأخرى التي تفد منها الضيوف أو ترحل إليها من مدح وإشادة به وبقبيلته.

محور رفض الأعراف القبلية: ويتجلى الرفض في شعره من خلال الانتقاد الذي يوجه إليه بسبب كرمه الزائد، فيرفض الأعراف القبلية التي تقلل من قيمة الفرد قائلا:

فَقِدماً عَصَيتُ العاذِلاتِ وَسُلِّطَت

عَلى مُصطَفى مالي أَنامِليَ العَشرُ

ومعربًا عن رفضه الانصياع للانتقادات التي قد تأتي من المجتمع أو من العاذلات، حيث يرى أن كرمه يعلو على كل ذلك، وهنا يظهر نسق التمرد ضد القيود الوضعية التي تحاول تقليص قيم الفرد أو إجباره على التراجع عن مبادئه، فهو يفعل ما يراه صوابًا، مما يعكس فهمًا عميقًا للإيثار متجاهلًا اللوم والعتاب والعذل، مفتخرًا بالإصرار على مواجهة الانتقادات (عصيان العاذلات)، ورافضًا كل ما يمكن أن يُؤدي إلى التمادي في السلوكيات غير المتوازنة، كالإفراط في الكرم أو عدم التفكير في العواقب فالنقد البنّاء هو الذي يساعد الشخص على تصحيح مساره والتفكير بواقعية في كيفية إدارة شؤونه الحياتية.

إنّ نسق الرفض قائم في هذا السياق على اعتبار الكرم عادة متأصلة فيه وفي كل إنسان كريم وأصيل. لأنه يراه جزءا لا ينفصل عن طبيعة الكرام والشرفاء وعادة لا يستطيع التخلي عنها، حيث يقول (الديوان، 2011، ص.172)

فَقُلتُ دَعيني إِنَّما تِلكَ عادَةٌ

لِكُلِّ كَريمٍ عادَةٌ يَستَعيدُها

يبدأ البيت بصيغة أمر: «دَعيني»، وهي تعبير عن رفض التدخل في سلوكه أو محاولات منعه عن فعله، خاصة إذا كان متعلقًا بقيمة نبيلة مثل الكرم. كلمة «دَعيني» توحي بالإصرار والعزيمة، وكأن المتكلم يطلب بوضوح ألا تُثنيه محاولات الآخرين عن العطاء.

إذ يعتبر تمسك الشاعر بالعادات القبلية ومكارم الأخلاقية الجاهلية خاصةً تلك المرتبطة بالكرم، من دواعي التفاخر بالذات والنسب والاعتزاز بمكانته الاجتماعية، أي أن هذه العادة متأصلة ومتجذرة. ويعزز فكرة أن الإنسان الكريم لا يستطيع الانفصال عن هذه الخصلة، مما يجعل من رفض التخلي عن الكرم أمراً حتمياً. ويعكس البيت رؤية حاتم لذاته كفرد متمسك بعاداته النبيلة، وهذا يعبر عن اعتزازه بالقيم المتوارثة وعدم استعداده للتخلي عنها تحت أي ظرف. ويرفض الضغوط الخارجية التي قد تحاول ثنيه عن الكرم. يؤكد على أن الكرم ليس مجرد اختيار شخصي، بل مسؤولية اجتماعية يلتزم بها الفرد للحفاظ على مكانته وسمعته بين الناس وسببا وجيهًا للتملص من لائميه ومعاتبيه، كما يعبر عن صراع ضمني بين رغبة الإنسان في التصرف بحرية وبين التزامه بالعادات المتأصلة. حاتم يظهر في موقف المدافع عن عادته، مما يعكس إيمانه القوي بالقيم والمبادئ التي يتبعها.: (الديوان، 2011، ص.174)

فَأَبشِر وَقَرَّ العَينَ مِنكَ فَإِنَّني

أَجيءُ كَريماً لا ضَعيفاً وَلا حَصِر

بدأ البيت بصيغة دعوة للتفاؤل والطمأنينة: «فَأَبشِر وَقَرَّ العَينَ»، وهنا يشير إلى حالة من الراحة واليقين التي يعد بها المخاطب. كلمة «أبشر» تحمل معنى البشارة المفرحة، مما يعكس مدى ثقته في موقفه وقدرته على تقديم الخير والعطاء. «وَقَرَّ العَينَ» تعني راحة البال واستقرار النفس، وكأن حاتم يضمن للآخرين الأمان والرضا بوجوده، مما يعزز هيبته كرمز للكرم والشهامة.

ويؤكد الشاعر في البيت السابق رفضه صفتا الضعف العجز، بديلا للكرم مطمئنا المخاطَب بأن تقرّ عينه به، وأن يكون واثقا من التزامه بشيم الكرام حذرا من الإفراط في الرغبات الدنيوية وضبط النفس تجاه الرغبات الجسدية مما يعكس نسقًا مضمرًا يعتبر من «التابو» في مفهوم القبائل العربية وتقاليدهم. ويقدم صورة مشرقة لحاتم الطائي كرجل يعتز بكرمه، ويمارس عاداته بقوة وإصرار، بعيدًا عن مظاهر الضعف أو العجز. إنه تجسيد مثالي للكرم العربي الذي يتسم بالقوة والثبات، مما يجعل قيمته مضاعفة في أعين الناس. وهو ما يتناوله الشاعر في البيت الموالي:

وَإِنَّكَ مَهما تُعطِ بَطنَكَ سُؤلَهُ

وَفَرجَكَ نالا مُنتَهى الذَمِّ أَجمَعا

ومن علامات رفض الانغماس في ملذات الحياة الجسدية إصراره على الترفع عما تمليه غرائز الإنسان بضبط النفس وإلجامها لأنّ عاقبة الرضوخ لها «منتهى الذم» أي جزاؤه المهانة والسقوط، حيث يمثل «البطن» و«الفرج» الرموز الأساسية للرغبات الجسدية الأساسية في حياة الإنسان. ويسلط حاتم الضوء على أن الانقياد لهاتين الرغبتين يُفقد الإنسان كرامته ويجعله محط ازدراء. هذه الثنائية توحي بأن التحكم في الشهوات ضروري للحفاظ على مكانة الإنسان واحترامه بين الناس، مما يعزز فكرة أهمية ضبط النفس وتقدير القيم العليا. فهناك نقد واضح للسلوكيات التي تجعل الإنسان تابعًا لرغباته، وهو تذكير بأن السعي وراء الملذات دون حدود يعكس ضعفًا أخلاقيًا ويؤدي إلى الذم المجتمعي.

ويدعم الشاعر موقفه من اتباع الهوى وجود قوة عليا خالقة تراقب وتحكم على أفعاله، فيقول: (الديوان، 2011، ص.168)

أَما وَالَّذي لا يَعلَمُ الغَيبَ غَيرُهُ

وَيُحيِيّ العِظامَ البيضَ وَهيَ رَميمُ

يستخدم في البيت أسلوب القسم لتعظيم قدرة الله تعالى وتأكيد إيمانه العميق به. فالبيت يحمل مضامين دينية وروحانية تعكس الإيمان بالقوة الإلهية المطلقة وقدرة الله على إحياء الموتى. استخدام هذه الصورة يثير مشاعر الرهبة والإجلال تجاه الله، ويعبر عن يقين الشاعر بقدرة الله المطلقة، حتى فيما يبدو مستحيلًا للبشر.

لذلك أقسم الشاعر بعالم الغيب والشهادة خالق الكون المحي والمميت بألا يقع في المحظور لأن عالم الغيب يعلم سره ونجواه. هذا القسَم يضمر نسق الخوف من العقاب الإلهي أو الأخلاقي، فتبدو تصرفات الشاعر ليست فقط بدافع اجتماعي، بل بدافع الاعتقاد في وجود عقاب إلهي يتربص بالإنسان إذا ما خالف القيم الأخلاقية وارتكب الأفعال المحظورة. كما يظهر اعترافه بالضعف أمام تحديات الظواهر الطبيعية بقوله: (الديوان، 2011، ص.169)

وَما كانَ بي ما كانَ، وَاللَيلُ مِلبَسٌ

رِواقٌ لَهُ فَوقَ الإِكامِ بَهيمُ

هنا يصف الشاعر الطبيعة القاسية فالليل بهيم «ملبس» يخفي وراءه عيوب البشر وأسرارهم فإذا غطى الشيء بالشيء قيل ألبسه، ومنه: ألبسنا الليل. وأصل الرواق: ويستره. وهذا مما يعكس الضعف البشري أمام قوى الطبيعة، رغم صمود الإنسان وصبره، حيث يتعلق النسق المضمر بالاعتراف بأن الإنسان، مهما بلغ من قوة وشدة، يظل ضعيفًا أمام قسوة الطبيعية وجبروتها. مستخدمًا التشبيه والاستعارة لوصف الليل كلباس يغطي الأفق، مما يعكس قوة التعبير عن الظلام. تشبيه الليل بـ»رِواق» يوحي بأنه يمتد على نطاق واسع، مما يعمق الإحساس بالرهبة والمجهول. فالصورة الكلية تعبر عن عالم من السكون والغموض، حيث تبدو الطبيعة وكأنها مغطاة بغطاء من الظلام الموحش. يعبر عن تجربة غامضة عاشها الشاعر في ظلمة الليل الحالكة، مستخدمًا وصفًا بليغًا يبرز جمال اللغة وقدرتها على تصوير المشاهد الغامضة. ويمزج بين الشعور النفسي والتصوير الطبيعي، ليخلق انطباعًا قويًا عن لحظة حافلة بالرهبة والغموض، ويجعلنا نتأمل في الظلام وما قد يحمله من أسرار.

وفي سياق الرفض يسل حاتم الطائي موقفا مناهضًا للتفاوت الطبقي، معترضًا على تصنيف العباد وفق مقياس الغنى والفقر وتفضيل الغني فالأغنى عن الفقير والمعدم. مؤكدًا أنّ الفقر والغنى كلاهما لا يزيدان من قيمة الشخص ولا ينقصان منه، يعكس البيت فلسفة متوازنة في الحياة، حيث يشير إلى أن المال قد يأتي ويذهب، لكن القيم الحقيقية هي التي تبقى. هذا التوازن يعبر عن قناعة الشاعر بأن السعادة والاعتزاز بالنفس لا يعتمدان على الماديات، بل على الجوانب الروحية والأخلاقية، فيقول: (الديوان، 2011، ص.81)

فما زادنا بأواً على ذي قرابةٍ

غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

فالشاعر يرى أنّ الوضع الاجتماعي للإنسان لا يغير من الأصالة والكرامة شيئا، «فما زادنا بأواً على ذي قرابةٍ غنانا» تعني أن الثروة أو الغنى لم يغيرا أو يزيدا في احترامنا أو تقديرنا لأقاربنا، سواء كان الإنسان غنياً أو فقيراً، كما يعتقد أنّ الدهر يحمل في طياته تقلبات بني آدم بين الغنى والفقر، ولا أزرى بأحسابنا الفقر» تعني أن الفقر لم يضعف من مكانتنا أو ينقص من شرفنا وأصالتنا، لكنه لا تأثير له على الشاعر ولا على حسبه ونسبه حال فقرهم، فقد تمرس من قبل بالفقر والغنى والعسر واليسر (الديوان، 2011، ص.190)

عُنينا زماناً بالتصعلك والغنى

كما الدهر في أيامه العسر واليسر

لسَينا صُروفَ الدَهرِ ليناً وَغِلظَةً

وَكُلّاً سَقاناهُ بِكَأسَيهِما الدَهرُ

هذا ما عناه حاتم في البيتين السابقين بتقبله لتصاريف الدهر وتكاليف الحياة المختلفة بكل تقلباتها سواء كانت مليئة بالرخاء أو الشدة، أو الغنى والفقر. فالكرم والعطاء هما العاملان القادران على إطلاق الحكم على الأشخاص والتمييز بينهم، وليس المال أو المنصب. ويؤكد هنا أن الكرم والعطاء من القيم السامية التي يتفاضل فيها الناس ويختلفون. فيقول: (الديوان، 2011، ص.197).

سآبى، وتأبَى بي أُصُولٌ كريمَةٌ

وآباء صدق، بالمودة شرّفوا

إنّ تأكيد الشاعر على رفضه لفعل معين أو موقف غير مقبول، مصدره أصله الكريم. وليس الرفض مجرد قرار شخصي، بل هو نتيجة طبيعية، لتنشئته السوية وأخلاقه الكريمة وسلوكه المتوارث في قبيلته. لذلك أوجد الشاعر علاقة سببية بين الرفض وبين أصالة عائلته ونبل نسبه، فما كان رفضه لعناد وادعاء كاذب، بل هو نابع من التزامه بالقيم والمبادئ الموروثة، وهذا يعكس نوعًا من الكبرياء الذي يجعله يرفض ما يخالف شرفه الرفيع وتعاليم العائلية والقبيلة.

ولم يتشكل نسق الرفض في شعر حاتم الطائي من كراهية للناس أو حقد، وليس تحدّيا لهم أو استفزازًا وإنما نتيجة التزام أخلاقي تجاه آبائه الذين اشتهروا بصدقهم ووفائهم لتقاليدهم. فقد «شرفوا بالمودة» والإخلاص والاحترام فكان الشاعر حاملا لواء تلك القيم الرفيعة لا يساوم عليها ولا يقبل بغيرها ولا يخضع لمن يخالفها.

ومما يستنتج من أسلوب الشاعر في البيت السابق أن الرفض قد مثل شكلاً من أشكال الحفاظ على الكرامة والشرف، وأنه يحق للشخص أن يرفض، ولكن دون التخلي عن صفات المودة والشرف والمعاملة الحسنة مما يُضفي على الرفض قيمة أخلاقية رفيعة.

ومن خلال هذه النماذج الشعرية يتضح أنّ نسق الرفض متماه مع روح الشاعر ونزعاته الفردية متأصل في ذاته وليس مجرد فعل أو موقف معارض، إنه اختيار حضاري وتعبير عن الكبرياء المرتبط بالقيم والمبادئ المتوارثة يعكس روح العدالة السماوية التي تحتكم لها الأخلاق والقيم الإنسانية كما نصت عليها الديانات السابقة للإسلام.

3– نسق إرادة الخلود:

محور الذكر الطيب: تبرز القيم الخادمة لنسق الخلود في شعر حاتم الطائي من خلال نظرته إلى الأثر الذي يتركه الإنسان بعد رحيله، حيث لا يرى أن الخلود يتحقق بالمال أو بالممتلكات، بل بما يتركه من ذكرٍ حسن وأعمالٍ صالحة تُخلد اسمه بين الناس، فتعكس رؤية حاتم الطائي للكرم بوصفه عملاً خالداً نسق مضمرا ستكشف عنه سيرة الشاعر في الذاكرة العربية. ففي سياق شعره الغزلي المشوب بالعتاب ينفث الشاعر سره ويتغنى بكرمه. ومن ذلك، قوله مخاطبًا زوجته ماوية التي تره بذاك الصنيع متلفا ماله: (الديوان، 2011، ص.67):

أَماوِيُّ قَد طالَ التَجَنُّبُ وَالهَجرُ

وَقَد عَذَرَتني مِن طِلابِكُمُ العُذرُ

أَماوِيُّ إِنَّ المالَ غادٍ وَرائِحٌ

وَيَبقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ وَالذِكرُ

أَماوِيُّ إِنّي لا أَقولُ لِسائِلٍ

إِذا جاءَ يَوما: حَلَّ في مالِنا نَزْرُ

إنّ الحجج التي قدمها الشاعر في هذه لإقناع ماوية بحسن صنيعه فتغفر له وتصله من جديد، تتضمن من الحكمة ما يدلّ على ما خبره حاتم الطائي في الحياة وما مرّ به من تجارب؛ وهي مسلمات لا يختلف فيها اثنان مفادها أنّ المال زائل لا محالة ولا يبقى إلا الأثر الحسن والخلق الحميد. وتبدو فكرة الخلود جلية في اقترانها بسيرة الشاعر واستمرارها بعد موته يتناقلها جيل بعد جيل. إنّ نسق إرادة الخلود قائم في تقديم الأفعال البطولية والمواقف الكريمة كوسيلة لتأمين مكانة دائمة في الذاكرة الجماعية، إذ يعبر البيت عن فلسفة القبيلة في العصر الجاهلي ونظرتها إلى حتمية الموت والخلود في الذاكرة الإنسانية.

فإذا أفلح الكريم في سعيه نحو خلوده وإذا استكان إلى غرائزه ورغباته الخاصة وكان أنانيا بخيلًا خسر الدنيا والآخرة ولن يجلب له عمله سوى الخسارة في قومه والنسيان بعد موته. بهذا المعنى صرح الشاعر قائلا: (الديوان، 2011، ص.189).

وَإِنّي لا آلو بِمالٍ صَنيعَةٍ

فَأَوَّلُهُ زادٌ وَآخِرُهُ ذُخرُ

ويتضح أن الإحسان والبذل يساهم بهما في تحقيق نوع من سبيل الخلود المعنوي، وليس للمال من منظور الشاعر من فائدة سوى أنه سبب ونتيجة، أداة ووظيفة يحقق به الشاعر مراده في الخلود. هذا النسق يعكس فلسفة قائمة على التضحية من أجل خلود الفرد بخلود فضائله، يجمع البيت بين إرادة الخلود في الدنيا من خلال الذكر الحسن، وفي الآخرة من خلال الجزاء الإلهي. يؤمن حاتم بأن ما يُقدمه من كرم يجعل اسمه خالدًا بين الناس ويضمن له حياة معنوية بعد الموت. في الوقت نفسه هو واثق بأن هذه الأعمال تُحتسب له عند الله، مما يجعله يُحقق خلودًا روحيًا أيضًا. هذه الرؤية تعكس فهمًا عميقًا لفكرة الخلود، حيث لا يكون مجرد بقاء مادي أو دنيوي، بل يمتد إلى الخلود الروحي في العالم الآخر. ويقول: (الديوان، 2011، ص.197).

وَإِنّي لَأُغشي أَبعَدَ الحَيِّ جَفنَتي

إِذا حَرَّكَ الأَطنابَ نَكباءُ حَرجَفُ

في هذا البيت، يصرح الشاعر بما كان مضمرا في كلامه من أن شجاعته وكرمه يصلان إلى من هم بعيدون عن دياره. فيفصح نسق الخلود ما تستر عنه في السابق، ليسوق للمتلقي فكرة تتجاوز الزمان والمكان هي خلود مجد الشاعر في الأذهان وذكره على الألسن بعد رحيله لأفعاله النبيلة وإصراره على تقديم المساعدة حتى للغرباء. كما يتضمن إشارة إلى شجاعة حاتم الطائي التي تضمن له الخلود في الذاكرة. هو شخص لا يمر عليه شيء دون أن يتفاعل معه أو يكون له تأثير. من خلال مراقبته للأحداث حتى البعيدة، يُظهر حاتم أنه مستعد دائمًا للكرم أو الشجاعة في اللحظات المناسبة، مما يجعله يخلد في ذاكرة الناس. وفي الأبيات الموالية ورد جمع المذكر السالم «الضاربين» و»الطاعنين» و»الخالطين» مجرورا ليصف أحوال القوم ممن جاورهم واستنفارهم في المعارك (الديوان، 2011، ص.192).

الضـــاربين لــدى أعــنتهم

الطــاعنين وخــيلهم تجــري

والخالطين نحيتهم بنضارهم

وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

ويصور الشاعر مشهد الرجال وهم يضربون أعناق أعدائهم وخيولهم تركض من شأنه أنْ يُخلّد ذكر هؤلاء الأبطال الذين يظهرون شجاعة فائقة في المعارك فتظل محفورة في الذاكرة الجماعية.

ويضيف الشاعر في البيت الذي يليه: «والخالطين نحيتهم بنضارهم / وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ»، قيمة جديدة هي مشاركة الأثرياء المحتاجين وتعاونهم خدمة الآخرين. حيث يخلط الأثرياء الذهب مع الفقراء من خلال العطاء والمساعدة. هذه الفضيلة الاجتماعية، المتمثلة في العطاء والتعاون بين الطبقات المختلفة، تساهم أيضًا في تحقيق الخلود من خلال الأفعال الخيّرة التي يتذكرها الناس بعد الرحيل.

محور الأفعال البطولية: إن الرغبة في الخلود تتجلى أيضًا عبر أفعال البطولة في ساحات القتال وأعمال الكرم والتكافل الاجتماعي فيقول:

فَإِنِّي لَأَعلَمُ أَنَّني سَأَموتُ

وَلكِنَّما يَبقى الثَناءُ مُخَلَّدُ

إنّ العلم الراسخ لدى الشاعر بحتمية الموت والخلود المعنوي هو الغنيمة الكبرى، حيث يسعى الشاعر لتحقيق المجد الأبدي من خلال سمعته وأفعاله الكريمة، وهذا ما يبرزه كقيمة مركزية في المجتمع الجاهلي.

ورغم أن حاتم عاش في الجاهلية، إلا أن شعره يحتوي على إشارات ضمنية إلى القيم الدينية السائدة في عصره، حتى وإن لم تكن مرتبطة بإله واحد، فإن ما يجري في بعض قصائده من إشارات إلى قوى خارقة تتحكم في مصير الإنسان، وهو ما يظهر في أبياته القدر والحظ:

دعيني للقدر أحتمله

فما للمرء إلا ما هو مكتوب

ويبدو النسق الديني المضمر معبرا عن إيمانه بأن المقدر والمكتوب ملاقيه القوى الخارقة (مثل القدر) تسيطر على مصير الإنسان، وهذا الاعتقاد كان سائدًا في الجاهلية يدلّ على الاستسلام أمام ما هو مسطر للإنسان في العالم الآخر، فيقول:

لَهُ المُؤاساةُ عِندي إن تَأَوَّبَني

وَكُلُّ زادٍ وَإِن أَبقَيتُهُ فاني

إنّ إضمار فكرة العطاء في ذهن الشاعر تجد مبررا في نسق الخلود المعنوي للأفعال والأقوال والأخلاق الفاضلة وليس الخلود المادي للمال، فهو حتمي الزوال كالأجساد. فيقول: (الديوان، 2011، ص.67).

أَماوِيُّ إِنَّ المالَ غادٍ وَرائحٌ

وَيَبقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ وَالذِكرُ

التركيز المفرط على السمعة والذكر الحسن بعد الموت جانب السلبي قد يدفع الفرد إلى التضحية بسعادته ورفاهيته الحالية من أجل بناء صورة مثالية في المستقبل. كما قد يتجاهل بعض الجوانب المهمة من الحياة اليومية، مثل الاهتمام بالأسرة أو التخطيط للمستقبل المالي.

هذه النماذج تظهر كيف يعبر حاتم الطائي.–ويقول: (الديوان، 2011، ص.246):

سَلِي الأَقْوامَ يا ماوِيَّ عَنِّي

وإنْ لَمْ تَسْأَلِيهِمْ فاسْأَلِينِي

يُخَبِّرْكِ المُعاشِرُ والمُصافِي

وذُو الرِّحْمِ الذي قد يَجْتَدِينِي

بأَنِّي لا يَهِرُّ الكَلْبُ ضَيْفِي

ولا يُقْصَى نَجِيُّ القَوْمِ دُونِي

ولا أَعْتَالُ مِن فَزَعٍ بِمَنْعٍ

إذا نَابَتْ نَوائِبُ تَعْتَرِينِي

وإنِّي، قد عَلِمْتِ، إِزَاءُ طَيٍّ

وتَأْبَى طَيِّئٌ أنْ تَسْتَطِينِي

إذا أنا لَمْ أَرَ ابن العَمِّ فَوْقِي

فإنِّي لا أَرَى ابْنَ العَمِّ دُونِي

ومِنْ كَرَمٍ يَجُورُ عَلَيَّ قَوْمِي

وأيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسِدُونِي

يظهر نسق إرادة الخلود في هذه الأبيات من شعر حاتم الطائي، حيث يسعى الشاعر بأفعاله وصيته الذائع بين الناس إلى إبراز ذاته، مما يجعلها متجاوزة للحياة المادية اليومية. ويمكن تحديد هذا النسق الكامن في عدة مواضع من الأبيات، حيث يقول الشاعر: «سَلِي الأَقْوامَ يا ماوِيَّ عَنِّي / وإنْ لَمْ تَسْأَلِيهِمْ فاسْأَلِينِي»، و»يُخَبِّرْكِ المعاشِرُ والمصافِي / وذُو الرِّحْمِ الذي قد يَجْتَدِينِي». إذ يشير إلى ذياع صيته وشهرته، عند أقرب الناس إليه أو عند الاغراب، وهذه السمعة هي وسيلته لضمان بقائه في الذاكرة والحديث بعد موته، وكأن سؤاله عن نفسه يخلق رابطًا بين وجوده الحالي وخلوده المستقبلي من خلال ذاكرة الآخرين.

ثم يقول معززا فكرة خلوده عبر خصاله الكريمة والمبادئ التي نشأ عليها، وهي الكرم والشهامة التي ستظل عالقة في الأذهان: «بأَنِّي لا يَهِرُّ الكَلْبُ ضَيْفِي / ولا يُقْصَى نَجِيُّ القَوْمِ دُونِي». فيبرز

هنا البعد الرمزي لفعل الكرم الذي يخلد اسمه بين الناس، حيث يرتبط الخلود بالقيم الإيجابية التي تترك أثرًا يتجاوز الزمن.

ولعل الشهرة تمثل وجه آخر للخلود في قوله: «ومِنْ كَرَمٍ يَجُورُ عَلَيَّ قَوْمِي / وأيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسِدُونِي»، حينما يكون مدعاة للحسد والجور. تأكيد على أن رفعة شأنه ورفعة مكانته عند الناس بما يبذله من عطاء لا محدود ورسوخ في الذاكرة لا تمحوه نوائب الدهر ولا كيد الحساد. وهو شكل آخر من أشكال الخلود الاجتماعي.

وختاما، لقد كان حاتم الطائي متعلقا بالخلود يتوق إلى تحقيقه من خلال الحفاظ على سمعته الطيبة، وذيوع صيته، وخصاله العربية الأصيلة من كرم وشهامة وأنفة خلدت ذكراه على مرّ التاريخ..

النتائج:

تُظهر نتائج البحث نضج تجربة حاتم الطائي الشعرية ودورها في التعبير عن الأنساق الثقافية، التي يمكن تلخيصها في الآتي:

- يعبر حاتم الطائي عن نسق التباهي بالكرم والمجد، ويفخر بانتمائه إلى قبيلة طيىء، متغنيًا بأصوله العريقة. وتبرز هذه المفاخر من خلال قصائد تصف شجاعته وكرمه، وتعكس القيم الأساسية للمجتمع الجاهلي، مثل القيادة والشرف العائلي. ولا يقتصر الكرم في شعره على كونه فضيلة فردية، بل يتجلى كرمز للهوية القبلية. حيث تتضح هذه الفكرة في مواقفه العديدة التي يظهر فيها سخاءً غير محدود، في ظل أصعب الظروف؛ ليصبح الكرم رمزًا للقوة والمروءة، مع تعزيز الروابط الاجتماعية في القبيلة. كما تُعد الشجاعة والبطولة من المحاور الرئيسة التي يستخدمها الشاعر للتباهي. ويُظهر الطائي نفسه في أشعار القتال مدافعًا عن قبيلته بشجاعة بطولية فذة، مما يعزز نسق الفخر بالشجاعة والالتزام بحماية القبيلة من الأعداء.
- يُبرز الشاعر دور المرأة في تعزيز المجد القبلي، حيث يحتفي بعفة نساء قبيلته، ويربط ذلك بفكرة الشرف العائلي. هذه القيم تجسد التماسك الاجتماعي وتُضفي بُعدًا أخلاقيًا على المجتمع الجاهلي.
- يسعى حاتم الطائي إلى الخلود المعنوي من خلال ذكره الطيب وأعماله الكريمة، مؤكدًا أن السعي لترك أثرٍ دائمٍ في الذاكرة الجمعية لقبيلته وشعبه، لهو أعظم من اكتساب الثروة أو الممتلكات الزائلة. يتجلى هذا النسق من خلال فلسفة الشاعر تجاه الموت والخلود، حيث يرى أن الذكر الحسن هو الضامن الحقيقي لبقائه في ذاكرة الناس.
- ينتقد حاتم التفاوت الاجتماعي من خلال التمرد على الأعراف الطبقية، مؤكداً أهمية المساواة بين الناس، غض النظر عن الغنى أو الفقر. ويعبر عن رفضه لأي شكل من أشكال التمييز، محاولًا تعزيز قيم المساواة والإيثار.

التوصيات:

- اعادة قراءة خطاب الكرم في السياق الثقافي: بوصفه شكلًا من أشكال «الاقتصاد الرمزي»، حيث يعزز مكانة الفرد والقبيلة عبر الأفعال النبيلة بدلًا من الثروة المادية.
- تحليل البعد النفسي لشخصية حاتم الطائي لفهم دوافعه وراء الكرم المفرط والتضحية الذاتية، خاصة في ظل الضغوط الاجتماعية للقبيلة.

المراجع:

ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم. (1982). الشعر والشعراء. (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر). (ط2). دار المعارف.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (1990). لسان العرب. المجلد العاشر. باب (ق ك) فصل النون. دار صادر.

بوزهرة، العمرى وساهل، مهدية. (2021). الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 14(02)، 283-298.

بيلسي، كاثرين. (2017). الثقافة والواقع نحو نظرية للنقد الثقافي، (ترجمة د. باسل المسالمة)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.

تومبيسون، ميكل. وإليس، ريتشارد. فيلدافسكي، آرون. (يناير 1998). نظرية الثقافة، (ترجمة د. علي سيد الصاوي)، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.

الحارثي، منصور بن محمد بن مريسي، (نوفمبر،2021). النسق الثقافي وتلقي الشعر في القرن الثاني هجريًا، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، عمان، الأردن، 42.

ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره. (2011). صنعه يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، (دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال). دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي).

زيدان، إبراهيم. (2017). نوادر الكرام في الجاهلية والإسلام. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة.

ساردار، زيودين وفان لونز، بورين. (2003). الدراسات الثقافية، (ترجمة: وفاء عبد القادر)، المجلس الأعلى للثقافة

شيخو، لويس. (1991). شعراء النصرانية قبل الإسلام. دار المشرق.

الغذامي، عبد الله بن محمد بن عبد الله. (2005). النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2005). القاموس المحيط. (تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، (ط8). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

كوش، دينس. (2007). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. (ترجمة د. منير العيداني، ومراجعة الطاهر لبيب). حقوق الترجمة والنشر للمنظمة العربية للترجمة. توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

المسعودي، الإمام أبي الحسن بن علي. (1991). مروج الذهب ومعادن الجوهر. (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد). دار الكتاب اللبناني.

مفتاح، محمد. (2000). النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع المدارس.

Al-Ḥārithī, Manṣūr Ibn Muḥammad Ibn Marīsī, (Nūfimbir, 2021) Al-nasaq Al-Thaqāfī wtlqy Al-shi‘r fī Al-qarn Al-Thānī Hjryan, Al-Majallah Al-iliktrūnīyah Al-shāmilah muta‘addidah Al-takhaṣṣuṣāt, ‘Ammān ; al-Urdun, 42

Bwzhrh, al‘mrá, wsāhl, Mahdīyah. (2021). Al-ansāq Al-Thaqāfīyah : Al-mafhūm wa-al-Ishtighāl. Majallat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah, al-Jazā’ir, 14 (02), 283-298.

Oxford languages, www.oxford languages.com

Taylor, Edward. (1920)Primitive Culture, vol.1, London, John Murray, Albemarle street, w., p. 1.

University of Hail

Journal of Human Sciences
At Hail University

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

Seventh year, Issue 24
Volume 3, DECEMBER 2024

Arcif
Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658